الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد:

فهذا ما بسطته وقررته في هذه الدراسة، بعد هذه الرحلة الماتعة في الرياض النضرة لسنن العمران البشري لوقائع السيرة النبوية العطرة، وها أنا ألخص نتائج هذا البحث معقباً عليها بآفاق وتوصيات.

- إن قضية سنن العمران البشري في ضوء السيرة النبوية لم تأخذ حقها من البحث والدراسة، سواء من الباحثين في ميدان السيرة النبوية خصوصاً والعلوم الشرعية عموماً أو الباحثين في العلوم الاجتماعية والإنسانية، مقارنة مع ما كتب في موضوع السنن الإلهية في القرآن الكريم، وإن كان هو نفسه في حاجة إلى تطوير وإبداع.
- انتهت بنا الدراسة المصطلحية لمصطلحي السنن والعمران، وذلك من خلال تتبع دلالتهما في القرآن، والحديث، والاصطلاح العام إلى إعادة النظر في ما هو متداول لدى غالبية الباحثين والدارسين بخصوص دلالة هذين المصطلحين؛ إذ لا سبيل إلى تعريف السنن بمجموع القوانين المتحكمة في ظواهر الكون والمجتمع، فلفظ القانون لا يحيل أبداً على تلك الكثافة الدلالية والخصوبة المعرفية والنضج الاصطلاحي والطاقة النفسية التأثيرية، والأبعاد العقدية والقيمية والتربوية والحضارية التي تميز مصطلح السنة بوصفه مصطلحاً قرآنياً متميزاً.
- أن سنة الله ترد في القرآن للدلالة دوماً على سنن العمران أو ما يسمى بالسنن الاجتماعية، ولا علاقة لها بالسنن الكونية فهذه يعبر عنها القرآن بالآيات. والمفردة القرآنية ينبغي أن تفهم داخل وحدة القرآن البنائية، كما يرد مصطلح

العمران في القرآن في ظل مشاهد ووقائع ذات أبعاد مختلفة تتعلق بالأفراد والجماعات والأمم، وعلى أنه تكليف شرعي بعمارة الأرض مؤسس على الفعالية التسخيرية والاستخلافية للجهد الإنساني، ومحكوم بمنظومات سننية تجعله في صلب معتركات الابتلاء والتداول والتدافع والتجديد: سقوطاً ونهوضاً.

- خلصت إلى أن السنن وفق الرؤية القرآنية إما سنن تاريخية أو سنن اجتماعية أو سنن عمرانية، مبيناً خصائصها وحجيتها وخصوصيتها ومقاييسها، ومواردها وأصولها وطرائق استنباطها ومعرفتها، مبرزاً الأهمية المركزية للفقه السنني، وأثره في تجديد الوعي الاستخلافي، وإطلاق الفعالية التسخيرية العمرانية.

- إن حركة التاريخ وفق الرؤية القرآنية ليست حركة دائرية مغلقة، أو حركة خطية تسير في اتجاه واحد، وإنما هي حركة خاضعة لمنطق السنن ولموجهات، وضوابط الاستخلاف، ومقتضيات التسخير المحكومين بمنظومة التوحيد التي تؤطر المعنى الكلي للعبادة، فحينما تتوافق سنن العبادة مع إحكام سنن الاجتماع، والتاريخ يتحقق الاستخلاف والتسخير في أسمى درجاته.

- من الضروري ردم الهوة بين العلوم الشرعية والعلوم الاجتماعية، وتجاوز الفصل بينهما الناتج عن ظروف انحطاط الأمة وتخلفها. والأصل أن علوم الشرع كانت اجتماعية، وأن ماهو اجتماعي كان موجهاً بعلوم الشرع، فطبيعة هذه الأخيرة اجتماعية، كما أن العلوم الاجتماعية ينبغي أن تكون شرعية، ويجب أن تكون المنهجية الشرعية الإنسانية هي الحاكمة، وهو ما يقتضي منا اليوم وضع قواعد استثمار المنهجيات الشرعية الأصولية في تطوير مناهج العلوم الاجتماعية برؤية مقاصدية، ومن نتائج هذا النظر اعتبارنا السنن نموذجاً إرشادياً تفسيرياً، فهي ليست علماً ولا نظرية.

- قدمت إسهاماً منهجياً أبرزت فيه الخطوات والإجراءات المنهجية، لاستثمار السيرة النبوية مصدراً للفقه السنني العمراني، واقترحت منهجاً لتجديد درس

السيرة النبوية وفق المقاربة السننية العمرانية مسترشداً في ذلك بمجموعة من الضوابط: البيانية والمعرفية والتكاملية والسياقية والمقاصدية والمنهجية والقيمية.

- اجتهدت في إفراغ بعض الجهد في استنباط الكليات السننية الناظمة للعمران البشري في ضوء الهدي النبوي، مبرزاً الأبعاد الكبرى لفقه الكليات السننية، مع بيان المداخل الأساسية لهذا الفقه من خلال شواهد من السيرة.

- استنتجت مجموعة من الكليات السننية العمرانية في ضوء الهدي النبوي وهي:

الأولى: كل سنة من السنن تتعارض مع مقاصد الدين وكلياته فهي من الدين عارية. الثانية: التكامل بين أصالة السنن التشريعية وفعالية سنن الاجتماع والعمران. الثالثة: اعتبار المآل شرط في صحة النظر السنني. الرابعة:كلية الاستباقية الوقائية والاستشرافية. الخامسة:أن السنن تتكامل ولا تتعارض. السادسة: كلية تكاملية منظومات السنن. السابعة: كلية وجوب منازعة السنن ومدافعة بعضها ببعض. الثامنة: كلية الارتباط والتناغم بين السنن التشريعية والآيات الآفاقية والنفسية، وسنن التاريخ والاجتماع والعمران البشري. التاسعة: المبدئية المبصرة والواقعية المنضبطة.

- قدمت تصوراً جديداً لمراحل البناء السنني للعمران البشري في السيرة النبوية، ومنظومة القيم المضادة لسنن العمران البشري، فذكرت مرحلتين: مرحلة التأسيس والبناء، وتتركب من ثلاث لحظات تاريخية: الأولى من بدء الوحي إلى الهجرة الأولى إلى الحبشة (خمس سنين): وهي لحظة البحث عن الإنسان المؤهل، لتشكيل القاعدة الصلبة (مفهوم الصفوة) للعمران، والثانية: من الهجرة الأولى إلى الحبشة إلى الهجرة إلى المدينة (ثمان سنين): وهي لحظة بناء الإنسان وتأهيله وإعداده رسالياً، ليكون قادراً على تحمل الأعباء التنظيمية للدولة. والثالثة: من الهجرة إلى المدينة إلى صلح الحديبية (ست سنين): وهي لحظة بناء الأمن الاجتماعي والسياسي، ونسمي هذه اللحظة لحظة الهجرة من

القبيلة إلى الدولة. أما مرحلة النصر والتمكين فقسمتها إلى لحظتين تاريخيتين: الأولى من صلح الحديبية إلى فتح مكة، والثانية هي التي كانت بعد فتح مكة. واصطلحنا على اللحظة التاريخية الأولى الممتدة من صلح الحديبية إلى فتح مكة بلحظة الهجرة من السلطان السياسي إلى السلطان العمراني، واصطلحنا على اللحظة التاريخية التي افتتحت بغزوة فتح مكة باستكمال الهجرة من الدولة إلى إقامة العمران الإسلامي الرسالي العالمي.

- استنتجت من خلال التأمل والتبصر في سورة العلق منظومة القيم المضادة لسنن العمران البشري، واقترحت نموذجاً في تصنيف القيم وعلاقته بمهددات العمران البشري، فنحن أمام ثلاث منظومات من القيم: منظومة قيم الطغيان، ومنظومة قيم الاستغناء، ومنظومة قيم المنفعة المفصولة عن الآخرة، وفي مقابل هذه المنظومات القيمية الثلاث، تقدم سورة العلق ثلاث منظومات قيمية تشكل عمق البناء الاجتماعي في العمران والاجتماع الإسلامي وهي: منظومة قيم الهدى، ومنظومة قيم التقوى، ومنظومة قيم الإحسان. وقدمت محاولة لفهم سنن الإملاء والاستدراج والإهلاك والتداول والتدافع في ضوء الهدي النبوي بناء على هذا المنظور القيمي المقترح.

- أبرزت دعائم سنن التغير الاجتماعي، وآليات اشتغالها، وشروط إحكام سنن العمران البشري في ضوء الهدي النبوي من خلال أربعة مستويات: مستوى صناعة التغيير وإنتاجه، ومستوى إدارة التغيير وتدبيره، ومستوى ضبط مسارات التغيير وتوجيهه، ومستوى حماية مكتسبات التغيير واستشراف آفاقه.

وقد فتحت هذه الرسالة آفاقاً علمية جديدة أذكر من بينها:

- أن المقاربة السننية العمرانية مدخل عظيم من مداخل تجديد البحث والنظر في السيرة النبوية، وتحقيق الشهود الحضاري للأمة الإسلامية.

- إن كثيراً من القضايا التي أحسبني طرقتها لأول مرة مازالت في حاجة إلى تعميق البحث لا سيّما ما تعلق بالكليات السننية وضوابطها وكيفيات تنزيلها، وما ارتبط بدعائم سنن التغير الاجتماعي، وعلاقتها بموضوع المبشرات والفتن.
- جمع ما كتبه، المتقدمون والمتأخرون، وتتبع تراث السيرة النبوية فيما يتعلق بسنن العمران والاجتماع البشري ودراسته ومقارنته وتقديم الخلاصات والاستنتاجات، وغربلة آثارهم وتقويمها.
- وضع كشاف موضوعي لسنن العمران البشري في السيرة النبوية، وترتيبها وتصنيفها..

وقد كتبت ما غلب على ظني أنه صواب، غير مدخر وسعاً في البحث والتنقيب، حريصاً على تطلب الجدة والنفع، والإعراض عما كان عريّاً عنهما، مسهماً في تطوير جانب مناهج الدراسات العلمية للسيرة النبوية من جهة بيان سنن الله تعالى في العمران البشري في ضوء الهدي النبوي، مع اعترافي بقصوري، غير زاعم أني قد أصبت في جميع ما أوردت، سائلاً الله تعالى أن ينفع بصوابه، وأن يتجاوز عما أخطأت فيه، والحمد لله رب العالمين.